آراءُ الْكُوفِيِّينَ الَّتي لَمْ يَنْسِبْها لهم ابْنُ هِشَامٍ الأَنْصَارِيُّ (ت٧٦١هـ) في كِتَابِهِ (مُغْنِي اللَّبِيبِ عَنْ كُتُبِ الأَعَارِيبِ)

د. محمد ياسين الشكري
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

فحوى البحث

عالم النحو ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) من أكابر العلماء في هذا الميدان وصاحب كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، قد أخذ في كتابه هذا عن نحاة الكوفة قراءاتهم، الا انه لم يصرح باسماء كثير منهم، بقصد أو من دون قصد.

وهو بذلك يختلف عمن تقدموه من العلماء. لذلك فقد عني البحث بعرض تلك الآراء مع ذكر اسماء مُتبنيها عبر الوقوف على مصادر النحو الكوفي كتب القراءات التي نقلت تلك الآراء. وختمه بمسرد للمصادر التي اعانته على نجاح عمله.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله ومن سار على نهجه وهداه إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

فإن هذه الدراسة تسعى بجدية إلى الكشف عن آراء الكوفيين في كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، والتي لم يصرِّح بها ابن هشام في كتابه هذا خاصةً، لأن المواضع التي صرح بها معلومة وواضحة من جانب، ومن الجانب الآخر قد تم تناولها بالدراسة.

ولأن كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب كتاب تعليمي، كما صرح بهذا، إذ ورد ذلك عبر مخاطبة مؤلفه طلبة العلم وكذلك العلماء، فيقول[1]: ((وخطابي به لَمن ابتدأ في تعلُّم الإعراب ولِمَن استمسك منه بأوثق الأسباب)) ولأنه من كتب أعاريب القرآن، والأدوات، تأتي أهمية الكتاب، سعى الباحث الكشف عن التوجه النحوي لابن هشام من خلال تمسكه بآراء النحو الكوفي عن طريق التصريح عنها تارة، وعدم التصريح عنها تارةً أخرى، على أنَّ مهمة البحث تنحصر في محاولة الكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يُصَرِّح بها ابن هشام في مغني اللبيب.

إنَّ مثل هذه الدراسة تتطلب العودة إلى مصادر النحو الكوفي -على قلَّتها- للإفادة منها في تحديد مواضع النحو الكوفي التي لم يُصرَّح بها في مغني اللبيب، وفي ضوء هذا فإن: كتاب معاني القرآن للكسائي (ت١٨٩هـ)، وكتاب معاني القرآن للفرّاء(ت٢٠٧هـ)، وكتاب معاني القرآن لثعلب (ت٢٩١هـ)، وكتب الخلاف النحوي مثل: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لكمال الدين أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وكتاب التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العُكبري (ت٦١٦هـ)، وكتاب ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف الزبيدي

(١) مغني اللبيب: ١٢(خطبة المؤلف).

(ت٨٠٢هـ) من المصادر القديمة التي أغنت البحث كثيراً. أمَّا المراجع الحديثة فهي كثيرة ومنها: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي، وكتاب ظاهرة الشذوذ في النحو العربي للدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، والحروف العاملة في القرآن الكريم بين البلاغيين والنحويين للدكتور هادي عطية مطر، وغيرها من المراجع. ولقد اقتضى البحث أن يكون على تمهيد يحتوي تعريفاً بالنحو الكوفي، وتعريفاً بكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ثم متن البحث ويتضمن مواضع النحو الكوفي في المغني مما لم يصرح به ابن هشام.

على أن الذي ينبغي الإشارة إليه يتمثل في أن النحو الكوفي هو القسيم للنحو البصري، وباجتماعهما يؤلفان النحو العربي، وهذا يجعل لكل منهما منهج ومصطلح وقواعد ينفرد بها عن الآخر. والذي يلحظ على ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب أنه يتمثل في استعماله بكثرة بعبارات من مثل: وقيل، وقالوا، وقال غيرهم، وقد اثبت البحث أن أغلب ما ذهب إليه ابن هشام من هذه الاستعمالات، كان قاصداً به الكوفيين بدلالة وروده في كتبهم.

وقبل الولوج في تحديد مواضع النحو الكوفي في كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، والتي لم يصرِّح بها ابن هشام في كتابه المذكور، نرى من الأجدر التمهيد للموضوع بتعريف للنحو الكوفي من حيث النشأة وأبرز علماؤه وأهم مؤلفاتهم، والتعريف بالكتاب ومؤلفه.

النحو الكوفي:

النشأة والأعلام والميزات:

عند الحديث عن نشأة هذا النحو، ينبغي التذكير بأن علماء الكوفة كانوا قد شُغلوا برواية الحديث والشعر، وتعليم القرآن الكريم ودراسة قراءاته، حتى أن الكوفة أنجبت لوحدها ثلاثة من القرَّاء السبعة المشهورين، وهم: عاصم بن أبي النجود (ت١٢٧هـ) -والكسائي (١٨٩هـ) -وحمزة (ت١٥٦هـ). على أن علماء الكوفة لم يفطنوا إلى علم النحو إلاّ

بعد مئة عام.

ويُعَدُّ الرواسي (ت١٩٤هـ) أول كوفي ألَّفَ في العربية، وكتابه (الفيصل) قد تم عرضه منه على الخليل بطلب منه فأطلع عليه حسب قوله[٢]، وإنّ كل ما في كتاب سيبويه من قول (قال الكوفي كذا)، فإنما يقصد الرواسي[٣]. ويُعّدّ الكسائي (ت١٨٩هـ) مؤسساً لمدرسة الكوفة، وهو الذي أخذ عن الخليل (ت١٧٥هـ)، وقرأ كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) سرّاً، وتلمذ على عمّه معاذ بن مسلم الهراء (ت١٨٧هـ) واضع علم الصرف، وأبو جعفر الرواسي الذي هذا يُعَدّ أول كوفي ألف في العربية[٤]. ولكن مدرسة الكوفة لم تتبلور إلاّ بعد أن تخرّج على الكسائي كثيرون، صاروا فيما بعد علماء الكوفة ورواد مذهبها، إذ اتبعوا منهجاً جديداً، ووضعوا مسلكاً آخر في تقعيد القواعد، ورسموا خططاً لهذا العلم، مما جعل مدرستهم تتميز من مدرسة البصرة تميزاً ظاهراً[٥].

على أن مدرسة الكوفة انمازت بما يأتي:

١. توسعها في منهج السماع عن كل أعرابي (في البادية أو في الحضر).
٢. توسعها في قبول الرواية، فكَثُر في نقولهم المنحول والمصنوع.
٣. أقامت قواعدها على ما متوافر بين أيديها من شواهد، و لا اعتبار للأكثر عندهم، إذ ما كان ضرورة أو شاذاً في مدرسة البصرة، كان له قاعدة خاصة في مدرستهم، وهذا أدّى إلى كثرة القواعد عندهم وتشعبها.
٤. كان الكوفيون على كثرة اعتمادهم على السماع، أكثر استعمالاً للقياس من البصريين، لأن قياسهم كان على الكثير، والقليل، والنادر، والشاذ.
٥. مدرسة الكوفة قدّمت السماع – دائماً–على القياس لمجرد ورود الشاهد، دون تَحَرٍ في ثبوته، ثم القياس عليه وعلى الأصل. وتعَدُّ

(٢) ينظر: من تاريخ النحو، تاريخ ونصوص.
(٣) ينظر: مراتب النحويين: ٢٤.
(٤) ينظر: موجز تاريخ النحو: ٥١ –٥٢.
(٥) ينظر: م. ن.

هذه أهم الميزات التي انمازت بها مدرسة الكوفة.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)

إنّ الحقيقة التي لا يمكن إنكارها تتمثل في أن هذا الكتاب كتاب قيِّم ومشهور، إذ إنَّه كتاب حافل بالمسائل النحوية، والشواهد، والمناقشات، وحكايات الخلاف بين المذاهب النحوية، وبين النحويين أنفسهم، فضلاً عن أنه كان سبباً في شهرة مؤلفه، فَكَثر الإقبال عليه، وحظي باهتمام بعد وفاته، فكثرت عليه الشروح والحواشي، وانتشر بشكل واسع، إذ يمكن القول إنَّه أصبح محفوظاً في دور الكتب في البلدان كلها.

على أن الذي ينبغي أن يشار اليه بشأن هذا الكتاب يتمثل بتفرد مؤلفه بنسق استطاع أن يضم أشتاتاً كثيرة في نظام، وأن يجمع قواعد كلية تنطبق على ما لا يحصى من أجزاء وأنواع، وحشَّد له من الشواهد كثرة قَلَّ أن تجتمع في كتاب، وكانت له ملاحظٌ ومآخذ على كتب النحويين المشهورة، أشار اليها واجتهد في اجتنابها في هذا الكتاب. يقول ابن هشام:... بل لأني وضعت الكتاب لمتعاطي التفسير والعربية جميعاً[٦]. ولقد تفرد ابن هشام بطريق مَيِّزه بين النحويين، وكان كتابه على قسمين:

القسم الأول: أداره على (الأدوات في اللغة العربية) فبعد أن أحصاها وحصرها (عاملة وغير عاملة)، قام بجمع كل ما استطاع من شواهدها أداة أداة، حتى إذا تم له جمع الشواهد على أداة ما، أمعن فيها وفي شواهدها ثم نسق معانيها المختلفة وأحكامها تبعاً لهذه المعاني، وتحقق من ذلك فائدتان، هما: نتاج مادة قيِّمة غزيرة في النحو المؤسس على الشواهد الصحيحة، والوقوف على معاني مختلفة واستعمالات صحيحة للأدوات في اللغة العربية.

القسم الثاني: وكان مقسَّماً على ثمانية أبواب، وهي:

الأول: في تفسير المفردات (حروفاً

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٦٨٢.

وأفعالاً وأسماءً) وذكر أحكامها.

الثاني: في الجملة وأقسامها وأحكامها.

الثالث: في شبه الجملة وأحكامها.

الرابع: في ذكر أحكام يكثر دورها.

الخامس: في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها.

السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها.

السابع: في كيفية الإعراب.

الثامن: في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية.

والذي يمكن ملاحظته على منهج ابن هشام يتمثل في اعتماده على القرآن الكريم كثيراً في استنباط معاني الحروف وأحكامها. ولكن هذا لا يعني خلو الكتاب من المآخذ عليه، بل يكفي القول أن هذه الدراسة قامت على واحدة من المآخذ على الكتاب التي تمثلت بـ(ما لم يصرِّح به ابن هشام من النحو الكوفي في كتابه مغني اللبيب). أمَّا المؤلف، فكما ورد في ترجمته بمقدمة الكتاب، فهو الإمام الذي فاق أقرانه، وشأَى مَن تقدمه، وأعيى مَن يأتي بعده، الذي لا يُشّق غباره في سعة الاطلاع، وحسن العبارة وجمال التعليل، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، الأنصاري، المصري. ولد بالقاهرة في ٧٠٨هـ، تلا على ابن السراج، وسمع على أبي حيَّان ديوان زُهير بن أبي سُلمى المُزني. وتفقه أول الأمر على مذهب الشافعي، ثم تحنبل فحفظ مختصر ألخرقي قبيل وفاته بخمس سنين. تخرَّج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، وتصدَّر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة[٧]. قال عنه ابن خلدون[٨]: ((ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه)). وأعاد القول[٩]: ((إنَّ ابن هشام على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو، وكان

(٧) ينظر: م. ن: ٥ (ترجمة ابن هشام).
(٨) م. ن: ١/ ٦.
(٩) مقدمة ابن خلدون: ٤٠٤.

ينحو في طريقته مَنحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثـــــر ابن جني واتّبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه)).

ولابن هشام مصنفات كثيرة تدل على عقلية علمية لها وزنها، ولها مكانتها بين علماء العصر الذي عاش فيه.

مواضع النحو الكوفي التي لم يُصرِّح بها ابن هشام في المغني:

بعد قراءة كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب بدقة متناهية، لوحظ أن ابـن هـشـام يشير وبكثرة الى نقله عـــن الكوفيين، فمرة يشير الى النقل عن الكوفيين صراحةً، ومرة ينقل عن الفرّاء، ومرة ينقل عن الكسائي، وأخرى ينقل عن ثعلب، وما أروع ذلك النقل الذي يعود بكل حق لصاحبه، لكن في الوقت نفسه نجد أن ابن هشام ينقل عن الكوفيين بكثرة من دون الإشارة إلى ذلك، أي: أنه ينقل عن الكوفيين دون أن يُصرِّح بذلك، وكان يكتفي بالقول: وقيل، وقد قالوا، وقالوا، وقال بعضهم. ومن هنا كانت مهمة هذا البحث، إذ تبنى الكشف عن تلك المواضع، عبر إرجاعها إلى مصادرها، وذهب الباحث إلى عرض المواضع في ضوء ما وردت في المغني.

ففي بـاب تفسير المـفـردات وذكـر أحكامها، قـال ابـن هـشـام[10]: ((وقـد قالوا في قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾[سورة الـرعـد: ٣٣] إن التقدير كـمن ليس كذلك، أو لم يُوحدُّوه، ويكون (وجعلوا لله شركاء) معطوفاً على الخبر على التقدير الثاني)).

والحقيقة أن هذا القول ذهب إليه الـكـوفـيـون، إذ قـال ألـكـسـائـي[11] في معانيه: التقديـــر: كـشركائهم. وقاله الفراء بقوله[12]: ((ترك جوابه ولم يقل: ككذا وكـذا، لأن المعنى معلوم، وقد بيَّنه مـا بـعـده، إذ قـال ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [سورة الرعد: ٣٣]، كأنه في المعنى قال:

(١٠) مغني اللبيب عـن كتب الأعـاريـب: ١/ ١٤.
(١١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٧١.
(١٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٦٤.

كـشركائهم الذين اتخذوهـم)) ومثله قول الشاعر[١٣]:

تَخَيَّري خُيِّرت أُم عالِ

بين قصير شيرُه تِنْبَالِ

أذاكِ أم منخرقِ السربال

ولا يـزال آخر الليالي

تخـيَّري بـين كـذا وبـين مُـنـخَـرق السربال: فلمَّا أن أتى بـه في الذكر كفى من اعادة الأعراب عليه.

وقـال ابـن هـشـام[١٤]: ((وقـالـوا: التـقـديـر في قـولـه تعالى﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سـورة الزمر: ٢٤]، أي: كمن يُنَعّم في الجنة، وفي قوله تعالى﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[سـورة فاطر: ٨]، أي: كمن هـداه الله، بدليل قوله تعالى﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[سورة فاطر: ٨]، أو التقدير: ذهبت نفسُك عليهم حسرةً، بدليل قوله تعالى ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [سورة فاطر: ٨])). وقد وجد الباحث أن الكسائي هو الذي قال بهذا القول، وتابعه الفرّاء، قال الكسائي[١٥]: ((قوله تـعـالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [سورة فاطر٨]: مَـن: في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف لما دل عليه، والـذي دلّ عليه ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾، والمعنى: أفمن زُيِّـنَ له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات، قال: وهذا كلام عربي حسن ظريف لا يعرفه إلاّ القليل)). وقال الـفـرَّاء[١٦]: ((وقوله ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[سورة فاطر: ٨]، يقول: شَبَّه عليه عمله، فرأى سيّئه حسناً. ثم قال ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾، فكان الجـواب مُتبعاً بقوله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ واكتفى باتباع الجواب بالكلمة الثانية لأنها كافية من جواب الأولى)).

(١٣) الأبيات لأخرم بن مالك بن مطرف بن كعب، وقد ذكرها صاحب الأغاني: ٦/ ١٧٢، و: ٢٤/ ١٥٦.

(١٤) مغني اللبيب: ١/ ١٤.

(١٥) معاني القرآن للكسائي: ٢١٦.

(١٦) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٦٦-٣٦٧.

وقال الفراء[١٧]: ((ولو أخرج الجواب كله كان: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسُك أو تذهب نفسُك، لأن قوله (فلا تذهب) نهي يدل على أن مانهى عنه قد مضى في صدر الكلمة. ومثله في الكلام: إذا غضبتَ فلا تقتل، كأنّه كان يقتل على الغضب، فنُهي عن ذلك)).

ومما تقدم يتبين أن الكسائي والفرّاء هما مَن قالا بذلك التقدير، وهما عمودا المدرسة الكوفية، ولما نقل ابن هشام، فإنه لم يصرِّح بأنه من النحو الكوفي. وفي حديثه عن (إنْ) قال ابن هشام[١٨]: ((وخرَّجَ جماعة على (أنْ) نافية في قوله تعالى ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٧]. وعند العودة إلى كتب النحو، وجد الباحث أن هذا القول للكوفيين[١٩]، قال الفرّاء: ((وقوله ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ جاء في التفسير: ما كنّا فاعلين، و(إنْ) قد تكون في معنى (ما) كقوله ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[سورة فاطر: ٢٣]، وقد تكون (إنْ) التي في مذهب جزاء فيكون: إنْ كنَّا فاعلين ولكنَّا لانفعل. وهو أشبه الوجهين بمذهب العربية والله أعلم)).

وفي سياق الحديث عن معاني (ما) قال ابن هشام[٢٠]: ((وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦]، أي: في الذي ما مكناكم فيه، وقيل: بل هي في الآية بمعنى (قد)، وإنَّ من ذلك ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[سورة الأعلى: ٩]، وقيل: في هذه الآية: إنّ التقدير (وإنْ لم تنفع) مثل ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [سورة النحل: ٨١]، أي: والبرد)).

على أن هذا القول للفراء، وتابعه ثعلب، قال الفرّاء[٢١]: ((وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾

(١٧) م. ن: ٢/ ٣٦٧.
(١٨) مغني اللبيب: ١/ ٢٣.
(١٩) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٠٠، و: شرح السيرافي: ٥/ ١١٠، و: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٣١٥، والجنى الداني: ٢٢٩، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة (٢٤).
(٢٠) مغني اللبيب: ١/ ٢٣.
(٢١) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٥٦، و: ٢/ ١١٢.

[سورة الأحقاف: ٢٦]، يقول: في الذي لم نمكنكم فيه، و(إنْ) بمنزلة (ما) في الجحد. وقال: ((قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [سورة النحل: ٨١]، أي: وتقي البرد، إذ ترك ذلك لأن معناه معلوم والله أعلم. وقال ثعلب[٢٢]: ((قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦]، الفرّاء يقول: فيما لم تمكنكم فيه)).

وذهب ثعلب الى القول: (إنْ) بمعنى (قد)، وذلك في قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [سورة الأعلى: ٩]. ومما تقدم يتبين أن هذا قول للكوفيين، إذ قال به الفراء كثيراً. في معانيه، وقد تابعه ثعلب وقال به في أكثر من موضع من مجالسه، ومعانيه.

وفي الحديث عن وجود معان أخر لـ(أنْ) قال ابن هشام[٢٣]: ((من المعاني الأخر لـ(أنْ) هو النفي كـ(إنْ) المكسورة أيضاً، قاله بعضهم في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾[سورة آل عمران: ٧٣]، وقيل إنّ المعنى: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من الكتاب إلاّ لمن تبع دينكم، وجملة القول اعتراض)).

والذي ينبغي الإشارة إليه بهذا الشأن يتمثل في أن ما قاله ابن هشام هو قول الفرَّاء، إذ قال الفراء ما نصّه[٢٤]: ((وقوله: أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، يقول: لا تصدِّقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. أوقعت (تؤمنوا) على (أن يؤتى)، كأنه قال: ولا تؤمنوا أن يعطى أحدٌ مثل ما أعطيتم، فهذا وجه)). أي أن الفراء قال: وصلحت (أحدٌ) لأن معنى (أنْ) معنى (لا).

وفي سياق حديثه عن الشأن نفسه، قال ابن هشام[٢٥]: ((... والرابع من المعاني: (أنْ) تكون بمعنى(لئلا)، قيل به في ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [سورة النساء: ١٧٦]. على أن هذا

(٢٢) معاني القرآن لثعلب: ١٨٩، ٢٢٩ – ٢٣٠، و: مجالس ثعلب: ١/ ٢٦٧.
(٢٣) مغني اللبيب: ١/ ٣٦.
(٢٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٢٣.
(٢٥) مغني اللبيب: ١/ ٣٦.

القول ذكره ألكسائي في معانيه في قوله تعالى ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ ﴾، فقال[٢٦]: ((المعنى: يبين الله لكم لئلا تضلّوا)). وهو ما ذهب إليه الفراء، إذ قال[٢٧]: ((وقوله ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ ﴾، معناه: ألاّ تضلّوا. ولذلك صلحت (لا) في موضع (أنْ). هذه محنة -امتحان- (أنْ) إذا صلحت في موضعها (لئلا) و (كيلا) صلحت (لا))). وقال الفراء في موضع آخر من معانيه[٢٨]: ((وقوله ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٦]: (أنْ) في موضع نصب من مكانين. أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا إنّما أنزل. والآخر من قوله واتقوا أنْ تقولوا، (لا) يصلح في موضع (أنْ)هاهنا كقوله ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [سورة النساء: ١٧٦] يصلح فيه (لا تضلون) كما قال: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠٠-٢٠١]. وذهب ابن هشام في سياق كلامه على لزوم الفاء في جواب (أمّا) إلى القول[٢٩]: ((فإن قلت: فقد حذفت في التنزيل في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦]، قلت: الأصل: فيقال لهم أكفرتم، فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبعه الفاء في الحذف)).

إلاّ أن الذي لا يمكن غض الطرف عنه، يتمثل في أن هذا ما قاله الفرّاء[٣٠]: ((وقوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم ﴾[سورة آل عمران: ١٠٦]، يقال: (أمّا) لابد لها من الفاء جواباً فأين هي؟. فيقال: إنّها كانت مع قول مضمر، فلما سقط القول سقطت الفاء معه، والمعنى -والله أعلم- فأمّا الذين اسودت وجوههم فيقال: أكفرتم، فسقطت الفاء مع (فيقال). والقول قد يُضمر. ومنه في كتاب الله شيء كثير)).

(٢٦) معاني القرآن للكسائي: ١٢٠.
(٢٧) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٩٧.
(٢٨) م. ن: ٣٦٦.
(٢٩) مغني اللبيب: ١/ ٥٦.
(٣٠) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٢٨ -٢٢٩، و: ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: ١٩٤.

أي: أن (أمـا) لابـد لهـا مـن أن تجاب بالفاء، ولكنها سقطت لما سقط الفعل الذي أضمر. وقد قاله الفراء في موضع آخـر[٣١]، عندما ذهـب إلى القـول:... ومـثـل قـولـه ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ المعنى -والله أعلم -فيقال: أكفرتم. وأكّـد الفـراء ذلك ثـالـثـةً[٣٢] بقوله: وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ ﴾ [سورة الجاثية: ٣١] أضمر القول فيقال: أفلم، ومثله قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦]، معناه فيقال: أكفرتم، والله أعلم. وذلك أنّ (أمّا) لابـد لها من أن تجاب بالفاء، ولكنها سقطت لما سقط الفعل الـذي اضمر. أي أن الفراء بحث عن الفاء في جواب (أمّا) في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ وهـو يـبـحـث عن استواء القاعدة النحوية، ولذلك يقول: إنّ (أما) لابد لها من الفاء جواباً فأين هي؟. فيقال: إنّها كانت مع قول مضمر، فلما سقط القول سقطت الفاء معه[٣٣].

وعلى الرغم من كل هذا التأكيد في قول الفراء بشأن هذه المسألة، إلاّ أن ابن هشام لم يقل بأن هذا القول للكوفيين، بل لم يذكر ذلك أو يُصرِّح باسم الفراء.

وفي سـيـاق كـلام ابـن هـشـام عن (أمّـا) قـال[٣٤]: ((وقـد يُـتَـرك تكرارها استغناءً بذكر أحد القسمين عن الآخر، أو بكلام يُذكر بعدها في موضع ذلك القسم، فـالأول نحو... والثاني نحو: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[سـورة آل عمران: ٧]، أي: وأمَّا غيرهم فيؤمنون به، ويكلون معناه إلى ربهم، ويدل على ذلـك ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[سورة آل عمران: ٧]، أي: كلٌّ من المتشابه والمحكم من عند الله، والإيـمان بهما واجـب، وكأنه

(٣١) م. ن: ٢/ ١١٩.
(٣٢) م. ن: ٣/ ٤٩.
(٣٣) ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز: ١٠٥.
(٣٤) مغني اللبيب: ١/ ٥٧.

قيل: وأمّا الراسخون في العلم فيقولون، وهذه الآية في (أما المفتوحة) نظير قولك في (إما المكسورة): ((إما أن تنطق بخير وإلاّ فاسكت)). وسيأتي ذلك، كذا ظهر لي، وعلى هذا فالوقف على {إِلاَّ اللهُ}، وهذا المعنى هو المشار إليه في آية البقرة السابقة** فتأملّها)).

والذي يدقق النظر في هذا القول سيجد أن الكوفيين هم من قالوا به، إذ قال الكسائي[٣٥]: ((وقوله تعالى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[سورة آل عمران: ٧] الراسخون مقطوع مما قبله والكلام تم عند قوله {إِلاَّ اللهُ}.

ولقد تابعه الفراء في ذلك القول بقوله[٣٦]: ((قال ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثُم استأنف (والراسخون) فرفعهم بـ(يقولون) لابإتباعهم إعراب الله. وفي قراءة أبيّ (ويقول الراسخون)، وفي قراءة عبد الله (إنْ تأويله إلاّ عند الله، والراسخون في العلم يقولون)).

وعندما قال: فرفعهم بـ (يقولون)، أي: مبتدأ وخبر، وقوله لا بإتباعهم إعراب الله: أي: لا بالعطف على لفظ الجلالة.

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن قول ابن هشام قد سبقه إليه الكوفيون – الكسائي والفراء، وكان الأجدر به أن يشير إلى ذلك، لأن قواعد النحو الكوفي كما يرى الباحث لا يمكن عدّها من القواعد العامة التي لا تحتاج إلى توثيق أو معرفة صاحبه، بحجة أنها أشياء لا تنسب إلى شخص بعينه، وحتى لو سلمنا بهذا التسويغ، فهو لم يكن باباً لإلغاء التوثيق.

وفي باب الكلام عن معاني (أو) ذهب ابن هشام الى القول[٣٧]: ((والثاني: الإبهام، نحو ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[سورة سبأ: ٢٤] الشاهد في الأولى)).

غير أن الذي يقرأ كتاب الفراء يجد هذا القول فيه، قال الفراء[٣٨]: ((وقوله ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ

(٣٥) معاني القرآن للكسائي: ٩٦.
(٣٦) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٩١.
(٣٧) مغني اللبيب: ١/ ٦١ –٦٢.
(٣٨) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٦٢.

هُدًى ﴾ قال المفسرون معناه: وإنّا لعلى هدى وأنتم في ضلال مبين، معنى (أو) معنى (الواو)عندكم، وكذلك هو في المعنى. غير أن العربية على غير ذلك: لا تكون (أو) بمنزلة (الواو). ولكنها تكون في الأمر المفوَّض، كما تقول: إنْ شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة.

وذكر ابن هشام أن هناك معنى آخر لـ(أو) بقوله[٣٩]: إنّ المعنى الثامن لها أن تكون بمعنى (إلاّ) في الاستثناء. والحقيقة أن هذا القول هو ما ذهب إليه الكوفيون، إذ قال الفراء[٤٠]: ((وقوله ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٣] في معنى (حتى) وفي معنى (إلاّ) كما تقول في الكلام: تعلَّقْ به أبداً أو يعطيك حقك، فتصلح (حتى) و (إلاّ) في موضع آخر. وكان من الأولى بابن هشام أن يذكر أن هذا القول للكوفيين، إنْ لم يرغب بذكر الفراء، إلاّ أن ذلك لم يحدث.

وفي حديث ابن هشام عن (إذا) وعملها، ذكر[٤١] أنه: لا تعمل (إذا) الجزم إلاّ في ضرورة، كقوله:

استغنِ ما أغناكَ رَبُّك بالغنى
وإذا تُصـــبْك خصاصةٌ فتجمَّلِ*

على اننا نجد الفراء يقول[٤٢]: من العرب مَن يجزم بـ(إذا)، فيقول: إذا تقمْ أقمْ.

وعن خروج (إذا) عن الاستقبال، ذهب ابن هشام إلى القول[٤٣]: ((وذلك على وجهين: أحدهما أن تجيء للماضي كما تجيء (إذ) للمستقبل في قول بعضهم، وذلك كقوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾[سورة التوبة: ٩٢] وقوله

(٣٩) مغني اللبيب: ١/ ٩٦.
(٤٠) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٢٣.
(٤١) مغني اللبيب: ١/ ٩٣.
(*) البيت لعبد قيس بن خفاف، ينظر: المفضليات: ٢/ ١٨٥، و: الأصمعيات: ٢٦٩.
(٤٢) معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥٨.
(٤٣) مغني اللبيب: ١/ ٩٥.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [سورة الجمعة: ١١].

وقد ذهب الكوفيون إلى ذلك القول، إذ نجد في كتاب معاني القرآن للفراء[٤٤]: ((وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٦]. كان ينبغي في العربية أن يُقال: وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض، لأنه ماض، كما تقول: ضربتك إذ قمت ولا تقول: ضربتك إذا قُمت. وذلك جائز، والذي في كتاب الله عربي حسنٌ، لأن القول وإن كان ماضياً في اللفظ فهو في معنى الاستقبال، فأنت تقول للرجل: أحببْ مَن أحبك، وأحببْ كل رجل أحبك. فيكون الفعل ماضيا وهو يصلح للمستقبل. ومن ذلك أن يقول الرجل للرجل: كنتَ صابراً إذا ضربتك، لأن المعنى: كنتَ كلما ضُربت تصبرْ. فإذا قلت: كنت صابراً إذ ضربت، فإنما أخبرت عن صبره في ضربٍ واحد.

(٤٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

وفي سياق حديث ابن هشام عن معاني الباء قال[٤٥]: ((والمعنى السادس لها الظرفية نحو ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[سورة آل عمران: ١٢٣] ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر: ٣٤])).

على أن هذا القول ذهب إليه الفرّاء بقوله[٤٦]: ((وقوله ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [سورة التوبة: ٢٥]: الباء هاهنا بمنزلة (في)، كما تقول: ضاقت عليكم الأرض في رُحبها وبرُحبها.

وقال الفراء في موضع آخر من معانيه[٤٧]: ((وقد وجدنا من العرب مَن يجعل (في) موضع الباء فيقول: أدخلك الله بالجنة، يريد: في الجنة.

ولقد ذكر ابن هشام في معرض حديثه عن مفردات حرف الباء أن[٤٨]: (بلى)حرف جواب أصلي الألف، وقال جماعة: الأصل (بلْ) والألف زائدة)).

(٤٥) مغني اللبيب: ١/ ١٠٤.
(٤٦) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٣٠.
(٤٧) م. ن: ٢/ ٧٠.
(٤٨) مغني اللبيب: ١/ ١١٣.

ولم يذكر أن أحداً قبله ذكر ذلك.

على أن الكسائي ذكر ذلك فقال[٤٩]: ((قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨١]: الفرق بين (بلى) و (نعم) أن (بلى) إقرار بعد جحد، و (نعم) جواب استفهام بعد جحد)). وقد تابعه الفراء بالقول في ذلك المعنى، فقال[٥٠]: ((وُضِعَت (بلى) لكل إقرار في أوله جحد... فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقرّوا بما بعده فاختاروا (بلى) لأن أصلها كان رجوعاً محضاً عن الجحد إذا قالوا: ما قال عبد الله بل زيدٌ، فكانت (بل) كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفاً يصلح فيها الوقوف عليها، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط، وإقرار بالفعل الذي بعد الجحد، فقالوا: (بلى) فدلت الألف على معنى الإقرار والإنعام، ودلّ لفظ (بل) على الرجوع عن الجحد فقط)).

(٤٩) معاني القرآن للكسائي: ٧٥.

(٥٠) معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٢ -٥٣.

وفي حديث ابن هشام عن مفردات حرف الحاء، وعند الحديث عن (حتى) ذكر[٥١]: أن الفعل لا يرتفع بعد (حتى) إلاّ بثلاثة شروط، الثاني منها: أن يكون مُسَبَّباً عمّا قبلها، فلا يجوز القول: سرتُ حتى تطلع الشمس)).

وبعد قراءة في كتب النحو الكوفي، وجد الباحث أن الكسائي قال بذلك[٥٢]، وكذلك الفراء فهو الآخر قد قال[٥٣]: ((و لحتى ثلاثة معانٍ في يفعل، وثلاثة معان في الأسماء، فإذا رأيت قبلها فعلاً ماضيا وبعدها يفعل في معنى مضي وليس ما قبل (حتى يفعل) يطول فارفع يفعل بعدها، كقولك: جئت حتى أكون معك قريباً. وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد (حتى) وإنْ كان ماضياً إذا كان لغير الأوّل، فيقولون: سرت حتى يدخلَها زيد، فزعم الكسائي أنه سمع العرب نقول: سرنا حتى تطلعُ الشمس بزُبالة، فرفع والفعل للشمس)). وذكر

(٥١) مغني اللبيب: ١/ ١٢٦.

(٥٢) معاني القرآن للكسائي: ٨٨.

(٥٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٤.

ذلك السيوطي، وغيره[٥٤].

وتحدث ابن هشام في سياق كلامه عن(غير)بقوله[٥٥]: ((قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[سورة النساء: ٩٥] يقرأ برفع (غيرُ)، إمّا على أنه صفة لـ(قاعدون) لأنهم جنس، وإمّا على أنه استثناء وأُبدل على حد (ما فعلوه إلاّ قليل منهم))).

على أن هذا القول ذكره الفراء في كتابه[٥٦] عند الحديث عن قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[سورة النساء: ٩٥] فقال: يرفع (غير) لتكون كالنعت لـ(القاعدين)... وقد ذُكِرَ أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب، إلاّ أن اقتران (غير) بالقاعدين يكاد يُوجب الرفع،... وقد يكون نصباً على أنه حال... ولو قُرِئتْ خفضاً لكان وجهاً تُجعل من صفة المؤمنين)). وذكره العكبري في كتابه[٥٧].

ولقد ذكر ذلك ثعلب بقوله[٥٨]: ((وقوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[سورة النساء: ٩٥] يرفع (غير) نعتاً للقاعدين، وينصب على الاستثناء وعلى أنها حال ويخفض نعتاً من المؤمنين)).

وعند حديث ابن هشام في باب مفردات حرف الحاء، قال[٥٩]: ((قوله تعالى ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[سورة ص: ٥٧] أن الخبر (حَمِيمٌ) وما بينهما معترض، أو (هذا) منصوب بمحذوف يُفسره (فَلْيَذُوقُوهُ) مثل ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾[سورة البقرة: ٤٠]، وعلى هذا فحميم بتقدير: وهو حميم)).

والحقيقة أن الفراء هو من ذهب

(٥٤) ينظر: همع الهوامع: ٢/ ٨.

(٥٥) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٥٨، و: ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٩٠-٢٩١.

(٥٦) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٨٣ -٢٨٤، و: ٢/ ٢٥٠.

(٥٧) ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: ٤١٦.

(٥٨) معاني القرآن لثعلب: ٥٩.

(٥٩) مغني اللبيب: ١/ ١٦٦.

إلى هذا القول في كتابه معاني القرآن، إذ يقول[٦٠]: ((وقوله عز وجل ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [سورة ص: ٥٧]: رفعت الحميم والغساق بـ(هذا) مقدما ومؤخراً. والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه، وذكر أيضاً: ويكون (هذا) في موضع رفع، وموضع نصب، فمن نصب أضمر قبلها)).

لكن الذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو إمكانية ابن هشام على مزج كلامه بكلام غيره إلى الحد الذي يصعب الفصل بينهما، إلاّ عن طريق المراجعة الحرفية للألفاظ والقيام بعملية موازنة دقيقة بين النصوص، حتى يتبين المزج الذي يقصده ويسعى إليه.

وفي سياق كلام ابن هشام الأمور المشتركة بين (كم الخبرية) و (كم الاستفهامية) ذكر[٦١]: ((أما قول بعضهم في ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة يس: ٣١] أبدلت (أنّ) وصلتها من (كم) فمردود، بأن عامل البدل هو عامل المبدل منه، فإن قُدِّرَ عامل المبدل منه يَروا فَكم لها الصدر فلا يعمل فيها ما قبلها)).

وهذا القول ذكره الفراء في معانيه، إذ قال[٦٢]: ((... وقوله (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ) فُتِحَت ألفها، لأن المعنى: ألم يروا أنهم اليه لا يرجعون. وقد كسرها الحسن البصري، كأنه لم يوقع الرؤية على (كم) فلم يوقعها على (أنّ)، وإن شئت كسرتها على الاستئناف، وجعلت (كم) منصوبة بوقوع (يروا) عليها)).

وعلى الرغم من أن ابن هشام لم يصرح بالنحو الكوفي، ففي الوقت نفسه نجده ينسب ما هو للكوفيين لغيرهم، ففي الحديث عن (كم) الخبرية و(كم) الاستفهامية، ينسب قول الفراء الى ابن عصفور[٦٣]، ففي ردّه على ابن عصفور القائل: أن (كم) في قوله تعالى ﴿ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم ﴾ [سورة السجدة: ٢٦] فاعل، أنه قول مردود

(٦٠) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٤١٠.
(٦١) مغني اللبيب: ١/ ١٨٤.
(٦٢) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧٦.
(٦٣) مغني اللبيب: ١/ ٨٤.

بأن (كم) لها الصدر، وإنما الفاعل ضمير اسم الله سبحانه، أو ضمير العلم أو الهدي المدلول عليه بالفعل، أو جملة (أهلكنا). والحقيقة أن القول بأن الفاعل في هذا النص القرآني هو... أو جملة (أهلكنا) هو رأي الفراء، عندما قال[٦٤]: ((وقوله ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يبين لهم إذا نظروا (كَمْ أَهْلَكْنَا) و (كم) في موضع نصب لا يكون غيره. ومثله في الكلام: أو لم يبين لك من يعمل خيراً يُجزَ به. فجملة الكلام فيها معنى رفع. ومثله أن تقول: قد تبين لي أقام عبد الله أم زيد، في الاستفهام، معنى رفع...)).

وبهذا فإن ما عزاه ابن هشام من قول إلى ابن عصفور لم يكن كذلك، بل هو قول قال به الفراء.

وعندما كان ابن هشام يتحدث عن اللام المبيِّنة للفاعل قال[٦٥]: ((واختلف في قوله تعالى ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٥-٣٦]، فقيل: اللام زائدة، و (ما) فاعل)).

ويرى الباحث أن ابن هشام لم يُنصف الكوفيين، إذ لم يشر اليهم، بل يكتفي بالقول: قيل، أو: قالوا. في حين أن أصل القول للكوفيين. والرأي الذي ذكره ابن هشام بـ(قيل) أن: اللام زائدة، و(ما) فاعل، هو رأي الفراء[٦٦] الذي قال به: ((وقوله هيهات هيهات لما توعدون، لو لم تكن في (ما) اللام كان صواباً، ودخول اللام عربي. ومثله في الكلام هيهات لك وهيهات أنت منّا، وهيهات لأرضك، قال الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق ومَن به

وهيهات وصل بالعقيق نواصله

على أن البيت ورد في معاني الفراء:

فأ يهات أيهات العقيق ومن به

وأيهات وصل بالعقيق نواصله

فمَن لم يدخل اللام رفع الاسم. ومعنى هيهات بعيد كأنه قال: بعيد (ما توعدون) وبعيد العقيق وأهله. ومَن أدخل اللام قال (هيهات) أداة ليست

(٦٤) معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٩٥.

(٦٥) مغني اللبيب: ١/ ٢٢٢.

(٦٦) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٣٥.

بمأخوذة من فعل بمنزلة بعيد و قريب، فأُدخلت لها اللام كما يُقال: (هلُّم لك) إذ لم تكن مأخوذة من فعل. فإذا قالوا: (أقبل) لم يقولوا: (أقبل لك) لأنه يحتمل ضمير الاسم)).

وفي سياق كلام ابن هشام عن(لا) في باب حرف اللام، قال[٦٧]: ((وأما قوله تعالى ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [سورة البلد: ١١]: إنّ (لا) فيه مكررة في المعنى، لأن المعنى، فلا فكَّ رقبة ولا أطعم مسكيناً، لأن ذلك تفسير للعقبة، قاله الزمخشري)).

لكن الذي ينبغي قوله هو أن هذا القول حتى وإنْ كان للزمخشري، فهو من توجيه الفراء الذي قال[٦٨]: ((وقوله عز وجل ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ ولم يُضَمَّ إلى قوله ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ﴾ كلام آخر فيه (لا)، لأن العرب لا تكاد تفرد (لا) في الكلام حتى يعيدها عليه في كلام آخر، كما قال عز وجل ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [سورة القيامة: ٣١] و ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس: ٦٢] وهو مما كان في آخره معناه، فاكتفى بواحدة من أخرى. ألا ترى أنه فسَّر اقتحام العقبة بشيئين، فقال: فكّ رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسبغة، ثم كان (من الذين آمنوا) ففسّرها بثلاثة أشياء، فكأنه كان في أول الكلام، فلا فعل ذا ولا ذا ولا ذا)).

و في سياق حديثه عن السياق نفسه قال ابن هشام[٦٩]: ((الموضع الرابع: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[سورة الأنبياء: ٩٥] فقيل: لا زائدة، والمعنى: ممتنع على أهل قرية قدرنّا إهلاكهم أنهم يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة، وعلى هذا فـ(حرام) خبر مقدّم وجوباً لأن المخبر عنه (أنْ وصلتها).

إلاّ أننا وعبر متابعة كتب النحو الكوفي من الكسائي ثم الفراء وثعلب وابن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، وجد الباحث أنهم يتفقون بشأن هذه المسألة،

(٦٧) مغني اللبيب: ١/ ٢٤٤.

(٦٨) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٦٤ -٢٦٥.

(٦٩) مغني اللبيب: ١/ ٢٥٢.

فالكسائي يقول[٧٠] ذلك في أكثر من موضع في معانيه، منها: ((قوله تعالى ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩]: إنَّ (لا) زائدة. وقال بذلك الفراء[٧١]: ((وقوله ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢]، المعنى –والله أعلم– ما منعك أن تسجد، (أنْ) في هذا الموضع تصحبها (لا)، وتكون (لا) صلة. كذلك تفعل بما كان في أوّله جحد. وقال الفراء في موضع آخر[٧٢]: ((... وقوله ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الحديد: ٢٩] والعرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل في آخره جحد، أو في أوله جحد غير مُصرّح، فهذا مما دخل أخره الجحد، فجعلت (لا)في أوله صلة، وأما الجحد السابق الذي لم يصرح به فقوله عز وجل ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢]، وقوله ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٩]، وقوله ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٥]، وفي الحرام معنى الجحد والمنع، وفي قوله (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) فلذلك جعلت (لا) بعده صلة معناها السقوط من الكلام.

وفي حديث ابن هشام عمّا يتعلق بجواب (لمّا) وأنه يكون فعلاً مضارعاً عند ابن عصفور مستشهداً بقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [سورة هود: ٧٤] قائلاً[٧٣]: ((إنّ الجواب (جاءته البشرى) على زيادة الواو، أو محذوف، أي: أقبل يجادلنا)).

وأن الحقيقة تشير إلى أن هذا القول قال به الفراء[٧٤]: ((وقوله ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ولم يقل: جادلنا. ومثله في الكلام لا يأتي ألاّ بفعل ماض كقولك: (فلما أتاني أتيته). وقد يجوز (فلما أتاني أثب عليه)، كأنه قال: أقبلتُ أثب عليه)).

(٧٠) معاني القرآن للكسائي: ١٣٥، ١٤٢.
(٧١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٧٤.
(٧٢) م. ن: ٣/ ١٣٧ –١٣٨.
(٧٣) مغني اللبيب: ١/ ٢٨١.
(٧٤) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٣.

وعندما يبحث ابن هشام في (ما) الشرطية غير الزمانية يقول[٧٥]: ((وقد جوزت في ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة النحل: ٥٣]، على أن الأصل: وما يكنْ، ثم حذف فعل الشرط)).

إلاّ أننا نجد ما ذهب إليه ابن هشام هنا، سبقه إليه الكوفيون، قال الفراء[٧٦]: ((وقوله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾: (ما) في معنى جزاء ولها فعل مضمر، كأنك قلت: ما يكن بكم من نعمة فمن الله، لإن الجزاء لابد له من فعل مجزوم، إن ظهر فهو جزم، وإن لم يظهر فهو مضمر، كما قال الشاعر:

إنْ العقل في أموالنا لا نضق به

ذراعاً –وإنْ صبراً فنعرف للصبر*

فإن الشاعر أراد (إنْ يكن) فأضمرها، ولو جعلت (ما بكم) في معنى (الذي) جاز وجعلت صلته (بكم) و (ما) حينئذٍ في موضع رفع بقوله (فَمِن الله)، وأدخل الفاء كما قال تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[سورة الجمعة: ٨]، وكل اسم وصل، مثل (مَن وما والذي) فقد يجوز دخول الفاء في خبره، لأنه مضارع للجزاء، والجزاء قد يجاب بالفاء. ولا يجوز (أخوك فهو قائم)، لأنه اسم غير موصول، وكذلك: ما لُكَ لي. فإن قلت: ما لك جاز أن تقول: فهو لي، وإن ألقيت الفاء فصواب. وما ورد عليك فقسه على هذا. وكذلك النكرة الموصولة. تقول: رجل يقول الحق فهو أحبّ إلي من قائل الباطل، وإلقاء الفاء أجود في كلّ من دخولها)). وفي سياق حديث ابن هشام عن (ما) في الفصل الذي عقده للتدريب، يقول[٧٧]: ((والأرجح في ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[سورة يس: ٦] أنها نافية، بدليل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سورة سبأ: ٤٤] وتحتمل الموصولة)).

وهذا القول للفراء، إذ يقول في معانيه[٧٨]: ((وقوله ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ

(٧٥) مغني اللبيب: ١/ ٣٠٢.
(٧٦) معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٠٤.
(*) البيت ورد في أمالي الشجري: ٢/ ٢٣٦، أراد بـ (العقل): الدِّية.
(٧٧) مغني اللبيب: ١/ ٣١٥.
(٧٨) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٧٢.

﴿ءَابَآؤُهُمْ﴾[سورة يس: ٦] يُقال: لتنذر قوماً لم يُنذر آباؤهم، أي: لم تنذرهم ولا أتاهم رسول قبلك. ويقال: لتنذرهم بما أُنذر آباؤهم، ثم تلقى الباء، فيكون (ما) في موضع نصب كما قال ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [سورة فصلت: ١٣].

وعندما تحدث ابن هشام عن (ما) المصدرية، قال[٧٩]: ((وقوله تعالى ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ [سورة يوسف: ٨٠] (ما) إمّا زائدة، فـ (من) متعلقة بـ (فرطتم). وإما مصدرية، فقيل: موضعها هي وصلتها رفع بالابتداء، وخبره (من قبل))). وهو لحد الآن لم يشر الى الكوفيين. إلاّ أننا نجد أن الفراء هو الذي يقول ذلك[٨٠]: ((وقوله ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾[سورة يوسف: ٨٠]: (ما) التي مع (فرطتم) في موضع رفع كأنه قال: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف.

وفي سياق حديث ابن هشام عن (واو الثمانية) قال[٨١]: ((واستدلوا على ذلك بآيات، إحداها ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[سورة الكهف: ٢٢]، وقيل: هي ذلك لعطف جملة على جملة، إذ التقدير هم سبعة)).

إلاّ أن الذي ينبغي الإشارة إليه بشأن القول بهذا العطف، ما قاله الفراء[٨٢]: ((وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ [سورة النساء: ١٧١] أي تقولوا: هم ثلاثة، كقوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [سورة الكهف: ٢٢] فكل ما رأيت بعد القول مرفوعاً ولا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم)). ومن هذا يُفهم أن العطف هو القائم وليس غيره. ويقول الفراء: فأما قول الله تبارك وتعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ

(٧٩) مغني اللبيب: ١/ ٣١٧.
(٨٠) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٥٣.
(٨١) مغني اللبيب: ٢/ ٣٦٤.
(٨٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٩٦، ٣٨، ٩٣.

رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ إِذْ .. ﴾ فهو رفع لأن قبله ضمير أسمائهم، سيقولون: هم ثلاثة، وهم أربعة، و... ، وقوله ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة النساء: ١٧١] رفعٌ، أي: قولوا الله واحدٌ، ولا تقولوا الآلهة ثلاثة. ويقول الفراء:... فأبن على ذا ما ورد عليك من المرفوع، قوله ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ إِذْ .. ﴾ و (خمسةٌ) و (سبعةٌ) لا يكون نصباً، لأنه إخبار عنهم فيه أسماء مضمرة، كقولك: هم ثلاثةٌ، وهم خمسةٌ.

وفي حديث ابن هشام عن باب التعليق الذي هو الباب الثالث من أبواب وقوع الجملة مفعولاً به، قال[٨٣]: ((واختلف في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤]، فقيل: التقدير ينظرون أيُّهم يكفل مريم، وقيل: يتعرفون، وقيل: يقولون، فالجملة على التقدير الأول مما نحن فيه، وعلى الثاني في موضع المفعول به المُسرَّح، أي: غير مقيَّد بالجار، وعلى الثالث ليست من باب التعليق البتة)).

والحقيقة أن هذه التقديرات قال بها الكوفيون، فالكسائي يقول[٨٤]: ((قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٩] لننزعنّ واقعة على المعنى كما تقول: لبستُ من الثياب وأكلتُ من الطعام ولم يقع (لننزعنّ) على (أيّهم) فينصبها، ثم ابتدأ ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾. وذهب الفراء إلى القول[٨٥]: ((وقول الله ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٩] مَنْ نصب أيّاً أوقع عليها النزع وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجن العاتي الذي هو أشدّ. وفيها وجهان من الرفع، أحدهما: أن تجعل الفعل مكتفياً بمَنْ في الوقوع عليها، كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل

(٨٣) مغني اللبيب: ٢/ ٤١٧.

(٨٤) معاني القرآن للكسائي: ١٩١، و: شرح السيرافي: ٣/ ١٦٥.

(٨٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٧ -٤٨، و: الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة(١٠٢).

طعام، ثم تستأنف أيّاً فترفعها بالذي بعدها، كما قال عز وجل ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[سورة الإسراء: ٥٧]، أي: ينظرون أيُّهم أقرب. ومثله ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤]. وأما الوجه الآخر فإنّ قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾: لننزعنّ من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايع أيُّهم أشَدُّ وأخبث، وأيُّهم أشدّ على الرحمن عتيا)). وقد ورد ذلك في شرح المفصَّل لابن يعيش[٨٦]، وجاءفي كتاب ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة[٨٧].

وفي أثناء كلام ابن هشام على تعلق الظرف والجار والمجرور، قال [٨٨]: ((ومثال التعلق بالمحذوف ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾[سورة الأعراف: ٧٣] بتقدير: (وأرسلنا)ولم يتقدم ذكر الإرسال، ولكن ذِكْرُ النبي والمرسل إليهم يدل على ذلك)). وهذا ما ذهب إليه الفراء بقوله[٨٩]: ((... ومثله من غير (إذ) قول الله ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ وليس قبله شيءٌ تراه ناصباً لـ(صالح) فَعُلِمَ بذكر النبي ﷺ والمرسل إليه أنّ فيه إضمار (أرسلنا))). وفي موضع آخر قال الفراء: وقوله ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ منصوب بضمير (أرسلنا)، ولو رفع إذ فقد الفعل كان صواباً، كما قال ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[سورة هود: ٧١]، وقال أيضاً ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾[سورة فاطر: ٢٧]. وذكر الفراء ذلك في موضع آخر بقوله: ((وقوله ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ نصبت صالحاً وهوداً وما كان على هذا اللفظ بإضمار(أرسلنا). وفي موضع آخر ذكر الفراء: وقوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ نَصَبَ بإضمار (أرسلنا). وقال ابن هشام[٩٠]: ((وقال

(٨٦) ينظر: شرح المفصَّل: ٣/ ١٤٦، و: دراسة في النحو الكوفي: ٤٠٧.
(٨٧) ينظر: إئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: ٦٧.
(٨٨) مغني اللبيب: ٢/ ٤٣٦.
(٨٩) معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٥، و: ٢/ ١٩-٢٠، و: ٢/ ٢٨٨.
(٩٠) مغني اللبيب: ٢/ ٤٧٩.

بعضهم في قوله تعالى ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [سورة الصافات: ٧] إنّه عطف على معنى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [سورة الصافات: ٦]، وهو إنّا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ٥] ويحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، أو مفعولاً مطلقا، وعليهما فالعامل محذوف، أي: وحفظاً من كل شيطان زيناها بالكواكب، أو: وحفظناها حفظاً)). إلاّ أن الذي ينبغي الإشارة إليه هنا، هو التذكير بأن هذا القول قال به الفراء[٩١]: ((وقوله عز وجل ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [سورة النحل: ٨]، ننصبها: ونجعلها زينةً على فعل مضمر، مثل ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ أي: جعلناها. ولو لم يكن في الزينة و لا في (وحفظاً) واو لنصبتها بالفعل الذي قبلها لا بالإضمار. ومثله (أعطيتُك درهما ورغبةً في الأجر)، المعنى: أعطيتُكَه رغبةً، فلو ألقيت الواو لم تحتج إلى ضمير لأنه متصل بالفعل الذي قبله. على أن هذه الدراسة، يمكن وصفها بأنها محاولة للكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يصرِّح بها ابن هشام في كتابه المذكور، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين الرسول الكريم وآل بيته الطيبين الطاهرين، ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق ما سعى إليه البحث من كشف لتلك المواضع.

(٩١) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٩٧، و: ١/ ١١٤.

الخاتمة والنتائج:

بعد أن مَنَّ الله تعالى علينا، ونحن ننتهي من محاولة الكشف عن مواضع النحو الكوفي التي لم يصرِّح بها ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، يمكن القول إن ما توصل إليه الباحث ما يأتي:

١. تبين من البحث وبوضوح أنّ ابن هشام أخذ عن نحاة الكوفة، إلاّ أنه لم يُصرِّح بالكثير من ذلك بقصدٍ

أو دون قصد، على أن مازال الناس حتى أيامنا هذه يرون أن النحوي إذا أخذ عن نحوي آخر بدون إشارة إليه، ارتكب أمراً لا يُحمد، بل يمكن عدَّه مأخذاً عليه، وفي ضوء ما تقدم كانت هذه الدراسة.

٢. كشف البحث عمّا يتمتع به ابن هشام من امكانية لمزج كلام نحاة الكوفة الـذي لم يُـصّرِّح بـه بكلامه مزجاً يصعب فيه التمييز بينهما، إلاّ بالعودة إلى عرض كتابـــه (المغني) عرضاً دقيقاً، وموازنته بشكل تفصيلي مع الكتب الأخرى.

٣. في ضوء ما تقدم يمكن القول: إنّه تفرَّد بهذه الإمكانية (مزج الأقوال)، وهذا جعله متميزاً، بل منفرداً بهذه الخاصية.

٤. تيقن الباحث أن كتاب مغني اللبيب على ما فيـه من فوائد جمة، فهو يخلو من المصادر، إذا ما تمت موازنته بغيره من المصنفات النحوية.

٥. كشف البحث أن مواضع التصريح باسم مَـن ينقل عنه ابـن هشام قليلة، في ضـــوء ما تم كشفه من المواضع التي لم يُـصَرِّح بها، وهو بذلك يختلف عن غيره من النحويين الذين يُكثرون في ذلك.

٦. عنى البحث بعرض أراء الكوفيين التي لم يصرح بها ابـن هشام، عبر الوقوف المتأني على مصادر النحو الكوفي التي نُقلت عنها، وفي هذا توثيق لآراء الكوفيين.

وختاماً أن هذه الدراسة ما هي إلاّ محاولة لوضع كل لَـبِنَة من الصرح في موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، لئلا يكون اللبس في الأمر، وتكون الفوضى في النقول.

روافد البحث:

القرآن الكريم.

- ائتـلاف الـنصرة في اخـتلاف نحاة الكوفة والبصرة، تأليف عبد اللطيف بـن أبي بـكـر الـشرجـي الـزبـيـدي (٨٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، كلية التربية، جامعة الموصل، عالم الكتب، مطبعة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

- الأصمعيات، الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر ١٩٦٤م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٤، ١٩٦١م.
- أمالي الشجري، ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت٥٤٢هـ)، المعروف -ابن الشجري، طبعة بيروت.
- المفضليات، المفضّل الضبِّي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر ١٩٦٤م.
- الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، الدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٧، ٢٠١١م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت -لبنان ١٩٥٩م.
- التبيين عن مذاهب اختلاف النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الدار اللبنانية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.
- الجني الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم ألمرادي، تحقيق: الدكتورفخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، توزيع مكتبة عباس أحمد ألباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، الدكتور: المختار أحمد ديزة، دار قتيبة، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.
- شرح المفصّل للزمخشري (ت ٥٤٨هـ)، الشيخ موفق بن يعيش

النحوي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه: د أميل يعقوب، ط١ دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م

- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تأليف جمال الدين بن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور طه محسن، جمهورية العراق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، تأليف الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، الناشر: وكالة المطبوعات- شارع فهد السالم -الكويت، توزيع دار القلم، بيروت -لبنان.
- مجالس ثعلب، تأليف ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع دار المعارف بمصر، القسم الأول ١٩٦٠م-١٩٦٩م.
- مراتب النحويين، عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، صيدا بيروت - لبنان.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، الجزء الأول بتحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، والثاني: بتحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار، والثالث تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل، مراجعة الأستاذ علي النجدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.
- معاني القرآن، لأبي العباس أحمد

بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٠٠-٢٩١هـ)، جمع وتحقيق: الدكتور شاكر سبع ألأسدي، مطبعة الناصرية التجارية، ط١، ٢٠١٠م

- معاني القرآن، لعلي بن حمزة لكسائي (ت١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدَّم له الدكتور عيسى شحاتة عيسى، كلية الدراسات العربية، جامعة المنيا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عبده غريب ١٩٩٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي، المطبعة البهية المصرية، بميدان الأزهر بمصر.
- من تاريخ النحو، تاريخ ونصوص، وفق منهاج شهادة فقه اللغة في الجامعة اللبنانية، سعيد الأفغاني، دار الفكر.
- موجز تاريخ النحو، الأستاذ توفيق بن عمر بلطه جي، دار الشيخ أمين كفتارو للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، دمشق -الصالحية، جادة الرئيس، خلف مشفى الطلياني.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م.